التفكير البلاغي عند ابن جني، شجاعة العربية أنموذجا

اعداد

احمد بن ابراهيم علي مسودى

ماجستير تخصص الادب العربي – كلية اللغة العربية وآدابها – جامعة ام القري مكة المكرمة

ملخص البحث

عنوان البحث: التفكير البلاغي عند ابن جني، شجاعة العربية أنموذجا.

أهمية البحث: تتحدد أهمية البحث في محاولة الوقوف على فكر ابن جني البلاغي، واستقصاء الأسس التي بني عليها التصور البلاغي عنده من خلال جملة من الأدوات والإجراءات والآليات المؤصلة للدرس البلاغي في فكره، من خلال نموذج شجاعة العربية.

أهداف البحث:

أولا/ تبيان مفهوم حكمة العربية في فكر ابن جني البلاغي.

ثانيا/ الكشف عن الأسس التي بنى عليها ابن جنى عقله البلاغي.

ثالثا/ بيان مفهوم شجاعة العربية، واستجلاء مقاييس تسويغه ومبادئه من خلال نصوص ابن جني المتناثرة في مؤلفات المختلفة.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في تشكل الجهاز المفاهيمي المحكم الذي بنى عليه ابن جني تصوره البلاغي عموما، وتصوره لشجاعة العربية خصوصا، من منظور الدرس البلاغي، ووعيه التام ومعرفته الدقيقة بالأبعاد الجمالية والبلاغية التي تكتنزها اللغة في ثناياها وتفاصيلها.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي القائم على رصد الظاهرة وتتبعها، والانتقال من الجزيئات إلى الكليات للوصل إلى الأحكام والنتائج.

مباحثه: جاء البحث مبنيا على مقدمة ومدخل ومبحثين.

ناقش المدخل**جهود ابن جني في رفد الدرس البلاغي.**

وحمل المبحث الأول عنوان**: التفكير البلاغي عند ابن جني، الأصول والملامح**، وجاء على ثلاثة مطالب، الأول: تحدث عن شجاعة العربية، واختص الثاني بدراسة الأسس التي قام عليها التصور البلاغي عند ابن جني، وعالج الثالث بعض القضايا البلاغية التي درسها ابن جني وكان لها أثر مباشر في تأسيس الفكر البلاغي.

وحمل المبحث الثاني وسم **شجاعة العربية رؤية بلاغية،** واشتمل على مطلبين، الأول رصد حركة المفهوم، والثاني تحدث عن مقاييس تسويغ شجاعة العربية، والمبادئ التي اتكأ عليه المفهوم.

الخاتمة: حوت الخاتمة أبرز نتائج وخلاصات البحث.

الكلمات المفتاحية : التفكير البلاغي- ابن جني- شجاعة العربية

The rhetorical thinking of Ibn Jini, the courage of the Arab model

by
Ahmed bin Ibrahim Ali Masoudi

MA in Arabic Literature, Faculty of Arabic Language and Literature, Umm Al-Qura University, Makkah

Research Summary

The importance of research: The importance of research in trying to stand on the thought of Ibn reap rhetoric, and investigate the foundations upon which rhetorical perception was built through a set of tools, procedures and mechanisms inherent to the rhetorical lesson in his thought, through the model of courage Arab.

research aims: First, to show the concept of the wisdom of Arabic in the thought of Ibn reap rhetoric. II / disclose the foundations on which Ibn Jana built his rhetorical mind. III / Statement of the concept of the courage of the Arab, and elucidate the standards of justification and principles through the texts of Ibn Jani scattered in various literature. The problem of research: The problem of research is the formation of the conceptual apparatus that was built on which Ibn Jnei conceived his rhetoric in general, and his perception of the courage of the Arab in particular, from the perspective of the rhetorical lesson, and his full awareness and knowledge of the aesthetic and rhetorical dimensions of the language in its folds and details.

The entrance discussed Ibn Jinni's efforts in providing a rhetorical lesson.

The first topic titled: rhetorical thinking when Ibn Jenni, assets and features, and came to three demands, the first: talk about the courage of the Arab, and the second specialized study the foundations on the rhetorical perception when Ibn Jenni, and the third addressed some of the rhetorical issues studied by Ibn Jenni and had Direct impact on the establishment of rhetorical thought.

The second section carried the marking of the courage of the Arab rhetorical vision, and included two demands, the first monitor the movement of the concept, and the second talk about the measures of justification of the courage of the Arab, and the principles on which the concept leaned.

Conclusion: Whale Conclusion The most prominent results and conclusions of the search.

key words: Rhetorical thinking- Ibn Jini

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم. وبعد،

فكرة البحث:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة الوقوف على طبيعة التفكير البلاغي عند ابن جني من خلال باب شجاعة العربية كأنموذج، ومقاربة الجهاز المفاهيمي الذي اتكأ عليه في التأسيس لمفهوم البيان العربي بمفهومه الشمولي أولا، ثم دراسة إسهاماته في ميدان الدارسات البلاغية، ولن يتسنى لنا الولوج إلى مثل هذه القضايا والمسائل الدقيقة إلا إذا استحضرنا في الأذهان أن ابن جني اللغوي النحوي لم يكن يتعامل مع اللغة على أنها قوالب جامدة وقواعد معيارية جافة لا يأتيها الجمال من بين يديها ولا من خلفها، بل كان في دراسته للغة مرنا إلى أبعد حد، يقنن ويقعد لكنه يكتنه الجمال في ذلك التقنيين والتقعيد، ويدرك جيدا أنه يتعامل مع لغة حكيمة شريفة عميقة، ويعلم يقينا أن اللغة الشعرية تملك من الجبروت والعنفوان ما يجعلها تتمرد على هذه المعايير المسنونة، وإذا عرفنا ذلك فلا غرابة أن نجد ابن جني يتعامل مع النحو بفكر بلاغي ينتجع فيه إلى مواطن الجمال، ويؤسس لفكرة تتلخص في أن النحو هو المفتاح الأساسي للولوج إلى علم البلاغة، واستبطان مكامن الجمال في النصوص.

أهمية البحث:

تتحدد أهمية البحث في محاولة الوقوف على فكر ابن جني البلاغي، واستقصاء الأسس التي بني عليها التصور البلاغي عنده من خلال جملة من الأدوات والإجراءات والآليات المؤصلة للدرس البلاغي في فكره، من خلال نموذج شجاعة العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

أسهمت جملة من الأسباب في اختيار هذا العنوان منها:

1/ الوقوف على فلسفة البلاغة ومفهومها من زاوية نظر النحاة وأهل اللغة، والنظر إلى طريقة تعاملهم معها من خلال أدواتهم وآلياتهم وإجراءاتهم ومفاهيمهم الخاصة.

2/ الاقتراب من مفهوم شجاعة العربية واستجلاء أبعاده ورؤاه من منظور البلاغة، واستنطاق مبادئه ومقاييسه واستخلاصها من النصوص المبثوثة في مؤلفات ابن جني المختلفة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في تشكل الجهاز المفاهيمي المحكم الذي بنى عليه ابن جني تصوره البلاغي عموما، وتصوره لشجاعة العربية خصوصا، من منظور الدرس البلاغي، ووعيه التام ومعرفته الدقيقة بالأبعاد الجمالية والبلاغية التي تكتنزها اللغة في ثناياها وتفاصيلها، ولهذا فإن الخطاب الإبداعي في وعي ابن جني هو المكون الأصيل لشجاعة العربية لأنه لا يذعن إلى نظام اللغة، ولا يرضخ لإملاءات المعيار، ولا يستجيب للقانون والقاعدة، فهو متمرد على أنظمة اللغة المسنونة، لكن المبدع حينما يمارس لعبة التمرد لا يمارسها عن طيش وجهالة، بل يمارسها عن معرفة واقتدار.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

أولا/ تبيان مفهوم حكمة العربية في فكر ابن جني البلاغي.

ثانيا/ الكشف عن الأسس التي بنى عليها ابن جنى عقله البلاغي.

ثالثا/ بيان مفهوم شجاعة العربية، واستجلاء مقاييس تسويغه ومبادئه من خلال نصوص ابن جني المتناثرة في مؤلفات المختلفة.

أسئلة البحث:

سيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

أولا/ ما مفهوم حكمة العربية في عقل ابن جني البلاغي؟

ثانيا/ ما الأسس التي بنى عليها ابن جني تصوراته البلاغية؟

ثالثا/ ما مفهوم شجاعة العربية وما مقاييس تسويغه ومبادئه التي حولت النص الإبداعي من سلطة الجور إلى سلطان الشجاعة؟

الفرض العلمي:

يفترض البحث من خلال منهجه ومباحثه أن ثمة جهازا مفاهيميا بنى عليه ابن جني تفكيره البلاغي عموما، وتصوراته عن شجاعة العربية خصوصا من زاوية الدرس البلاغي، ومثلت سلطة النص الإبداعي العمود الفقري لهذه الجهاز القائم على مقاييس ومبادئ واضحة.

منهج البحث:

تناثر فكر ابن جني البلاغي وتوزع في مختلف كتاباته وكتبه، ولا يمكن لنا الوقوف على هذا الفكر والقبض عليه بالاكتفاء بما دونه ابن جني من أفكار في كتاب الخصائص فحسب، بل علينا أن ننظر في مؤلفاته الأخرى (المحتسب، والفسر) حتى نكّون صورة واضحة عن فكر ابن جني البلاغي، ولذلك سنعتمد في دراستنا هذه على المنهج الاستقرائي القائم على رصد الظاهرة وتتبعها والانتقال من الظاهرة الجزئية إلى الظاهرة الكلية وصولا إلى الأحكام والنتائج.

الدارسات السابقة:

يمكن النظر إلى الدراسات السابقة من زاويتين مختلفتين، **الأولى**: دراسات تركزت على دراسة التفكير البلاغي عند ابن جني، **والثانية:** دراسات بحثت أثر النحاة في الدرس البلاغي، وذكرت ابن جني ضمن هؤلاء النحاة الذين أثروا الدرس البلاغي.

أولا/ الدارسات السابقة التي تركزت على دراسة التفكير البلاغي عند ابن جني:

أ/ البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، د. محمد مشبال، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.

تناولت هذه الدراسة مظاهر التفكير البلاغي عند ابن جني، وركزت أكثر ما ركزت على مفهوم شجاعة العربية، إذ أفردت لشجاعة العربية فصلين: **الأول**: الفصل الثاني من القسم الأول من الكتاب، حمل هذا الفصل وسم **"شجاعة العربية والأصل الجمالي"** ناقش فيه القواعد الأساسية التي قام عليها البناء المفهومي لشجاعة العربية.

الثاني: الفصل الأول من القسم الثاني وحمل هذا الفصل عنوان **"شجاعة العربية، وجنس الشعر"** تحدث فيه عن ارتباط شجاعة العربية الوثيق بالنص الشعري من خلال فكرتين هما: **تجاذب المعنى والنحو ، والعدول،** هذه الفكرة التي أفاض فيها وخصص لها الفصل الثاني من القسم الثاني، وسنعتمد في دراستنا هذه على هذا الكتاب بشكل أساسي لأنه يتقاطع مع كثير من القضايا والمسائل التي سنتطرق لها في هذا البحث.

ثانيا/ الدراسات بحثت أثر النحاة في الدرس البلاغي، وذكرت ابن جني ضمن هؤلاء النحاة الذين أثروا الدرس البلاغي، ونذكر من هذه الدراسات على سبيل المثال:

أ/ مراجعات في أصول الدرس البلاغي، الشيخ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 2005.

تناول الشيخ أبو موسى في هذا الكتاب عدة قضايا ومسائل، وجعل دراسته على ثمانية مباحث، وما يهمنا في هذه الدراسة هو تناول الشيخ لإسهامات ابن جني في الحقل البلاغي في المبحث الثالث الذي وسمه بـ **"مراجعات في كلام أبي الفتح"** عالج فيه عدة قضايا وما يهمنا هو تعرضه لقضية شجاعة العربية، ونقض المراتب.

ب/ أثر النحاة في الدرس البلاغي، عبد القادر حسين، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، ط 2، بدون تاريخ نشر.

تناول الدكتور عبد القادر حسين في هذه الدراسة أثر النحاة في ميدان الدرس البلاغي ابتداء من الخليل بن أحمد وصول إلى ابن فارس، وما دام الحديث عن إسهامات النحاة في إثراء الدرس البلاغي فمن الطبيعي أن يأتي ابن جني في طليعة هؤلاء النحاة، وبما أن الدراسة قسمت زمنيا فقد جاء ذكر صاحبنا ابن جني في عداد النحاة المنضوين تحت لواء القرن الرابع الهجري، ومن جملة القضايا التي تحدث عنها المؤلف القضية التي تخص بحثنا وهي شجاعة العربية، ولا شك أنها دراسة قيمة ستضيف إلى بحثنا وتثريه.

مدخل

جهود ابن جني في رفد الدرس البلاغي.

يعد أبو الفتح عثمان بن جني(ت 392هـ) من أبرز النحاة الذين أسهموا في رفد الدرس البلاغي وإثرائه، وقد شكل عقله البياني مرحلة النضج الذي تمثل في المزاوجة بين العقل النحوي المعياري والعقل البلاغي الجمالي، حمل أفكارا تنم على فهمه العميق للمسائل التي يعالجها، فهو لا يأخذ كلام سابقيه على علاته، بل يخضعه للدرس والفحص والمناقشة، فيقبل منه ما كان موافقا لعقله البياني ويرد ما خالفه، ومن الأمور التي خالف ابن جني فيها متقدميه الحديث عن أنواع الدلالة، فالجاحظ يجعل أصناف دلالات المعاني من لفظ وغيره "خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد" أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصبة" [1]، أما الرماني فقد جعل البيان والدلالات على أربعة أقسام هي: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة[2]، إلا أن ابن جني لم يسمح لعقله أن يقبل هذه الدلالات من غير فحص ودرس، فحصر الدلالة في اللفظ فقط، وجعلها على مراتب: " **فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"**[3]، وهذا القصر الدلالي على اللفظ عند ابن جني يأتي نابعا من فكره الموازن بين ما هو معياري وما هو جمالي، فاستبعاد ابن جني لدلالة الإشارة والعلامة، فيه إشارة إلى نظرة ابن جني للبيان؛ فالبيان عنده ليس مجرد إفهام، بل يتعداه إلى الإفهام البليغ الذي لا يتأتى من خلال الإشارة والعلامة، بل يحصّل باللغة والكلام.

ولابن جني إسهامات جليلة في رفد الفكر البلاغي بالعديد من الأفكار والملاحظات البلاغية القيمة التي سنسلط الضوء على شيء منها في قابل البحث، لكننا نذكر منها على سبيل الذكر حديثه عن اللفظ والمعنى، والإيجاز والإطناب والمساواة، والاعتراض، والتكرار، والتوكيد، والالتفات، ونقض المراتب، والتقديم والتأخير، والحذف، فهذه الأبواب وغيرها باشرها ابن جني بعقل مزج بين المعيار والجمال، واستطاع بفكره الوثاب وعقله النير أن يحدث أصداء جليلة في الفكر البلاغي العربي.

المبحث الأول: التفكير البلاغي عند ابن جني، الأصول والملامح.

المطلب الأول: حكمة العربية عند ابن جني.

المطلب الثاني: الأسس التي قام عليها التصور البلاغي عند ابن جني.

المطلب الثالث: تأصيل الدرس البلاغي عند ابن جني.

المطلب الأول

حكمة العربية عند ابن جني.

المطلب الأول: حكمة العربية عند ابن جنى.

المعلم الأول: مفهوم حكمة العربية.

انطلق ابن جني في دراسته للغة بنحوها وصرفها وأصواتها وبلاغتها بدافع الحب وباعث العشق لهذه اللغة الجليلة العظيمة، وأصبغ عليها صفات الشرف والحكمة والشجاعة مما يعطي انطباعا أن ابن جني عندما كان يتعامل مع اللغة كان يعرف قيمتها وجمالها وجلالها، وما أنتجه عقل ابن جني من نفائس وفرائد ودرر ما هو إلا دليل ملموس على تبجيل ابن جني الأعجمي للغة الضاد.

ومن الصفات التي أصبغها ابن جني على اللغة العربية صفة الحكمة، فيقول في مقدمة كتاب الخصائص متحدثا عن قيمة كتابه:" **واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصون، وآخذه من حصة التوقير والأون، وأجمعه للأدلة على ما أودعَته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة"**[٤].

إن مفهوم حكمة العربية عند ابن جني نابع في الأساس من إعجابه بها وإعجاب أهلها بها وشغفهم وتعظيمهم لها، فـ"**المروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد أو جزء من أجزاء كثيرة منه" ** [٥]، فابن جني يعلم يقينا أنه أمام لغة شريفة رصينة جميلة، ليست مجرد قواعد ترصف ويُسار عليها، بل هي مصدر وجود وكينونة لهذا العربي، ولهذا نظر ابن جني إلى اللغة باعتبارها صنعة وإبداعا، لا يمكن الوقوف على كنهها وأسرارها بقراءات جافة تستند إلى قواعد متحجرة، بل تحتاج إلى إعمال العقل وإجالة الخاطر والحذق حتى يُتوصل إلى مكامن الجمال فيها، وما تحويه **"من الغموض والرقة والدقة"**[٦].

لكن هل يصدق هذا التصور على اللغة الطبيعية، أم أنه موقوف على اللغة الشعرية؟؟

إن الخطاب الشعري لغة داخل لغة بمعنى أن الشعر ليس جنسا لغويا خارجا عن نطاق اللغة ونظامها، بل هو من صميم اللغة يستمد منها خصائصه ومقوماته فصفه الإبداع صفة ملازمة للغة الطبيعية، يقول محمد مشبال إجابة على سؤالنا الذي قدمناه:" **إن اللغة الطبيعية التي اضطلع ابن جني باستقصاء خصائصها، لا يصح أن توضع في تعارض مع الشعر، فهي تملك من الإمكانات الجمالية ما يكفل لها أن تكون ذات صفات إبداعية، ولكن ينبغي أن نبقى على ذُكر من أن الشعر هو شكل من أشكال الإبداع في هذه اللغة، وبذلك فهو يستمد منها ويمدها في الآن معا، وبناء على هذه الفكرة. نرى أن كثيرا من الخصائص الفنية التي وقف عليها ابن جني في اللغة العربية تجري على الشعر"** [٧]، والذي يفهم من كلام مشبال أن الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الشعرية عند ابن جني هو فرق في درجة الإبداع؛ بمعنى أن اللغة الشعرية تفوق مستوى اللغة الطبيعية في الإبداع، وأن اللغة الطبيعية ليست عارية من الإبداع وإن حضر بصورة أقل.

المعلم الثاني: التأويل مفتاح الوصول إلى دلائل حكمة العربية.

ذكرنا في المعلم السابق أن ابن جني كان يتغيا من تأليفه في اللغة إظهار خصائص الحكمة الكامنة في جوفها، وبينا أن المقصود بالحكمة في تفكير ابن جني البياني هو مجموع السمات والخصائص الإبداعية التي تجعل من هذه اللغة لغة راقية وعميقة وغامضة، لكن السؤال الذي نطرحه هنا: **ما هو المنهج الذي استخدمه ابن جني للوصول إلى دلائل حكمة العربية؟؟**

لقد أكد ابن جني في مؤلفاته على أن السبيل إلى بلوغ دلائل حكمة العربية لا يتأتى إلا عن طريق التأويل، فالتأويل هو المفتاح الذي يلج بدارس العربية إلى تلمس حكمتها وتحسس شرفها وبعد غاياتها ومراميها؛ فالعرب كما يرى ابن جني كانوا على وعي تام بأن لغتهم تتأبي وتتمنع على ذوي النظر الساذج والتأمل السطحي، ولا تجود اللغة بودها ووصالها إلا إلى أهل النظر والبصر والعقول الناقدة، ولذلك نجد ابن جني يؤكد في كثير من القضايا التي ناقشها على ذلك، ومثال ذلك ما جاء في " **باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية؟**"، فقد تجشم ابن جني عناء الإجابة على أولئك الذين يقولون أنهم يجدون في العربية أشياء كثيرة غير معللة، ولا يعرف لها سبب كإهمال ما أهمل من غير علة وغيرها من الأبواب التي سألوا عنها، فجاء جواب ابن جني على تلك السؤالات منسجما مع منهجه العام في النظر، ومنهجيته الخاصة في المعالجة التي اختطها لنفسه في التأليف؛ تلك المنهجية القائمة على النظر والتأويل القائدة إلى استكناه دلائل الحكمة، فهذه السؤالات في نظر ابن جني " **لا ينبغي أن يُعطى فيها باليد، بل يجب أن ينعم الفكر فيها، ويكاس في الإجابة عنها، فأدل ذلك أنا لسنا ندعي أن علل أهل العربية في سمت العلل الكلامية البتة، بل ندعي أنها أقرب إليها من العلل الفقهية، وإذا حكمنا بديهة العقل، وترافعنا إلى طبيعة الحس، فقد وفينا الصنعة حقها، وربأنا بها أفرع مشارفها. وقد قال سيبويه: وليس شيء مما يضطرون إليه، إلا وهم يحاولون به وجها. وهذا أصل يدعو إلى البحث عن علل ما استكرهوا عليه**"[٨].

فهذا المنهج التأويلي هو الذي وطن ابن جني نفسه عليه، وبه خالف سابقيه ولم يرتضي التسليم بأقوالهم من غير فحص وتأمل وإنعام نظر، ولسنا نزعم أن هذا المنهج من اكتشافات ابن جني؛ بل هو طريقة نظر درجت عليها العرب في التعامل مع لغتهم و **"تأملهم مواقع الكلام، وإعطائهم إياه في كل موضع حقه، وحصته من الإعراب، عن ميزة، وعلى بصيرة، وأنه ليس استرسالا ولا ترجيما"** [٩] ولا خبط عشواء وارتجال.

وإذا كنا نتغيا تطبيقا عمليا لمنهج ابن جني التأويلي فما علينا إلا النظر إلى كتاب **الفَسْر**، الذي شكلميدانا تطبيقيا لأوجه النظر وطرائق التأويل والتفسير، التي أقرها ابن جني في كتاب **الخصائص**، فقد كان ارتباط ابن جني بالمتنبي ارتباطا وثيقا تجلى في انبرائه للدفاع عنه وتلك لعمري مهمة شاقة تجبه تيارا قويا كان يهاجم المتنبي ويغمزه في قريضه، ولم يخرج ابن جني في دفاعه عن أبي الطيب عن منهجه العلمي التأويلي الذي شكل سمة بارزة في جميع ما خط وألف، يقول ابن جني في مقدمة كتاب الفسر عن المتنبي وشعره، والمنهج:"**وأنني لم أر شاعرا كان في معناه ولا مجريا إلى مداه، ولقد كان من الجد فيما يعانيه ولزوم طريقة أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أسد وتيرة، وأحسن سيرة، وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب من ارتكاب شاذ أو حمل على نادر فعن غير جهل كان منه، ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له، ومن هنا شبث قوم لا درية لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه، إذ لم تكن لهم خبرة بدخلة أمره ... فأما اختراعه للمعاني وتغلغله فيها واستيفاؤه لها فما لا يدفعه إلا ضد، ولا يستحسن معاندته إلا ند، وما أحسبني رأيت أحدا يتناكر فضل**

هذا الرجل وقتا من زمان، إلا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه، وعاد إلى تفضيله، وإذا تأملت -أيدك الله- هذا من أحوال هذه الطائفة وجدته كما ذكرتُ، وإنما ذلك لسمو مطالعه وخفاء مقاطعه وقوة نظره وشاذ نادته، فإذا أعملت فيه مطايا الفكر، وانتهجت له طرائق النظر، وطال البحث عنه، وتكرر التأمل له خرج على ذلك خروج المشرفي على الصقال، ولم يسع العذول غير تفضيله على كل حال"[١٠].

وددت أن أثبت هذا المقبوس على طوله لأنه يلخص لنا منهج ابن جني في استكناه أسرار العربية، اعتمادا على منهج التأويل والنظر، وإعمال مطايا الفكر وإجالة العقل في دقائق وأسرار اللغة، وكان المتن التطبيقي المدروس هو شعر المتنبي، شاعر العربية الأول غير مدافع، الذي كان يؤمن بقدرة ابن جني على تلقف شعره وفهمه حق الفهم أكثر من المتنبي نفسه، تمظهر هذا الفهم الثاقب في شهادة المتنبي لابن جني عندما أطلق عبارة الشهيرة: " **ابن جني أعرف بشعري مني"** [١١]، ولم يكن دفاع ابن جني عن أبي الطيب من باب التعصب له، بل كان يدخل معه في محاورات ومفاوضات حول المسائل اللغوية والنحوية، يتجادلان فيها وقتا طويلا حتى ينقطع ريب ابن جني ويسلم بصحتها في أغلب الأحيان[١٢].

ومن خلال أسلحة ابن جني اللغوية والنحوية والبلاغية، وفلسفته التأويلية أستطاع " **أن يحقق كثيرا مما رسمه لنفسه في هذا الشرح، فجلا غوامض المعاني، ووجه النواحي اللغوية والنحوية التي أخذت على المتنبي، وزود شرحه بشواهد كثيرة ليدل على الشبه بين طريقة المتنبي وطريقة الأقدمين في التعبير، واستجاز الاستشهاد بشعر المحدثين لأنه يستشهد به في المعاني مثلما يستشهد بشعر الأقدمين في الألفاظ، وكانت جوانب من شرحه وثيقة هامة لأنه أثبت فيه ما دار بينه وبين الشاعر من أخذ ورد حول بعض الأمور"**[١٣]

وبعد هذه الإطلالة الموجزة والإضاءة السريعة على مفهوم حكمة العربية عند ابن جني نخلص إلى أن تأليف ابن جني ورؤيته البيانية عموما انطلقت في أساسها من دافع الحب والشغف لهذه اللغة، وكان في مقاربته ودراسته لقضايا اللغة المختلفة يشعر بشرف هذه اللغة وعظمتها، وقاده هذا الحب والشغف إلى تطوير أدواته وشحذ همته والجمع بين اللغوي والنحوي والبلاغي ليصل في النهاية إلى منهجه التأويلي الذي شكل خلاصة تفكير ابن جني البلاغي، واستطاع من خلال هذا المنهج أن يستكنه دلائل الحكمة وأسرار العربية في شعر صديقه المتنبي الذي شكل معجزه مسرحا لتطبيق هذا المنهج.

المطلب الثاني

الأسس التي قام عليها التصور البلاغي عند ابن جني.

الأساس الأول: الرؤية الشمولية للمعرفة البيانية.

لقد كان ابن جني في دراساته ومؤلفاته المختلفة ينظر إلى علوم البيان نظرة كلية، يتعامل معها كبنية واحدة متماسكة يأزر بعضها بعضا، قناعة منه أن هذه العلوم تصدر من ينبوع واحد هو الفكر البياني العربي، الذي يدرس ويؤسس للخطاب العربي، وهذا الخطاب يأتي على مستويين **الأول**: الخطاب الشعري الذي مثل للعرب ديوانا يحفظون به مآثرهم وأيامهم وأنسابهم وتاريخهم وحضارتهم، و **الثاني**: الخطاب القرآني الذي نزل على سمت العرب في التعبير، وانتحى أساليبهم في الكلام بأسلوب معجز أفحم فصحاء العرب في الصنعة التي كانوا يفاخرون بإتقانها وهي الفصاحة والبلاغة والبيان، ولا شك أن المستوى الثاني قد احتل صدارة اهتمام العلماء القدامى وحاز على القدح المعلى من دراساتهم بفضل قداسته ومصدره، وفي ذات الوقت سار المستوى الثاني جنبا إلى جنب مع المستوى الأول كرافد ومعين يأرز

العلماء إليه لبيان ما خفي عليهم من أساليب القرآن ولغته وسمته، ومن هذا المنطلق ذهب ابن جني يؤصل لهذه الوحدة المعرفية في مؤلفاته، الوحدة التي تتوق إلى التنوع، أو بعبارة أخرى التنوع الذي يتحرك داخل هذه الوحدة، فنجد في مؤلفاته المختلفة اندغام علوم البيان والتئامها، إذ تلتحم في نسيج واحد هدفه تعرية خوافي النص، وتجلية غوامضه، وإظهار مكامن الجمال فيه.

الأساس الثاني: الموقف من اللغة.

درج ابن جني في دراسته للغة بمفهومها الشمولي على التركيز على أصلين مهمين يتضح فيهما موقفه من اللغة، وهذان الأصلان هما: **الاتساع، والجمال**، وكلاهما يصبان في فرضية أن اللغة ليست قوالب جافة ومعايير ثابتة؛ بل هي نسيج مكون من قاعدة معيارية واستعمال يراعي النظام اللغوي، لكنه يخرج إلى قواعد فرعية تضمن للغة خصيصة الاتساع ومن ثم الجمال.

الأصل الأول: الأصل الاتساعي للغة.

تقوم اللغة على مجموعة من المعايير القاعدية تسهم في ضبط الكلام، وتضمن له استقامته اللغوية، لكن الاستعمال اللغوي يفرض أنماطا أخرى من القواعد الفرعية التي ربما تحيد عن المعيار، لكنها في ذات الوقت لا تتمرد على النظام اللغوي القائم، وعليه فقد **"آمن ابن جني ... بأن الصوت والصيغة والتركيب أصولا تخضع للتحول عن الاستخدام اللغوي، بحكم ظروف الكلام ومواقفه المتجددة، وطبيعة المعاني التي يروم المتكلم إبلاغها"**[١٤].

وهذا يعني أننا أما مستويين من اللغة، مستوى يتواضع مع أصل القاعدة، وآخر يعدل عن أصل القاعدة لا النظام، وقد تحدث ابن جني في خصائصه عن هذه القضية في **"باب مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديرا وحكما، لا زمانا ووقتا"** وأشار إلى أن بعض صيغ العربية كقَوَم، وبيَع، وخوَف وغيرها لم تكن مستعملة أصلا في زمن من الأزمان ثم عُدل عنها إلى قام وباع وخاف، بل هي صيغ قياسية تجريدية لا تتحقق إلا في القليل النادر وضرب على ذلك جملة من الأمثلة [١٥]، المقصود من هذا أن اللغة قائمة على الاتساع ومراعاة الأحوال والمواقف، التي تتطلب الخروج عن أصل القاعدة.

الأصل الثاني: الأصل الجمالي للغة.

إذا كان المعطى الأول للغة في تفكير ابن جني البلاغي خصيصتها الاتساعية، فإن المعطى الثاني يفسر سبب هذا الاتساع، وهو المعطى الجمالي، الذي حضر في صدور مؤلفات ابن جني، فابن جني يؤمن أن **"كلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيه"** [١٦]، ومن هذا التصور انطلق ابن جني في استجلاء كنه العربية والكشف عن جمالها ولطيف مقاصدها وجهاتها، وتسليط أضواء التأمل والنظر على عذوبتها وتلفتها وتثنيها، من خلال مفهوم الانحراف أو العدول الذي ألقى بظلاله على أبواب كثيرة من كتاب الخصائص والذي سنناقشه في قابل البحث.

لقد أولى ابن جني الجانب الجمالي في اللغة عناية بالغة، ظهر ذلك في دراسته لمستويات اللغة، المتمثلة في الصيغة والتركيب والدلالة، ووقوفه على حقيقة كثير من القضايا البلاغية التي فصل فيها القول كحديثه عن **"الضرورة وقيام الشاعر بارتكابها لا للاضطرار إليها وإنما وفاء بحاجاته التعبيرية الخاصة، كما يناقش عددا من صور المجاز وخروج الأساليب عن معانيها التقليدية إلى معان أخرى، وحديثه قوة اللفظ لقوة المعنى، وحديثه عن تجاذب المعاني والإعراب، وحديثه المشهور عن شجاعة**

العربية، والمظاهر المختلفة التي تتجلى فيها هذه الشجاعة، كما يتحدث عن الالتفات وعن الاعتراض"[١٧] فكل هذه الأبواب وغيرها ناقشها ابن جني بحس العالم الفذ الذي جمع بين التمكن من ناصية اللغة والنحو وبين الحس البلاغي الذي يهتدي إلى مواطن الجمال والإبداع، وما هذا إلا دليل على نبوغ ابن جني ونباهته في الربط بين أفكار البيان العربي في حقوله المختلفة، ومحاولة عقد الصلات والروابط بينها حتى تتحقق نظرته في الوحدة المعرفية لعلوم البيان.

المطلب الثالث

تأصيل الدرس البلاغي عند ابن جني

إن الحديث عن تأصيل الدرس البلاغي عند ابن جني حديث يطول، وارتأيت أن أتحدث عن أبرز القضايا التأصيلية البلاغية في فكر ابن جني، والتي أحدثت أثرا مثمرا في الدرس البلاغي، وهذه القضايا هي:

أولا/ نقد الألفاظ عند ابن جني.

ثانيا/ قضية اللفظ والمعنى.

ثالثا/ المجاز والحقيقة.

أولا/ نقد الألفاظ عند ابن جني.

أ/انسجام الحروف في اللفظة المفردة

حظيت الألفاظ في تراث ابن جني البياني باهتمام كبير، وقد عالجها منفردة خارج سياقها، وإن كان يؤكد في كثير من مواضع كتابه الخصائص على أهمية الكلمة داخل سياقها كقوله: **"ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزن، ولا تتملك قلب السامع، وإنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه، بعذوبة مستمعه، ورقة حواشيه"**[١٨]، ويقول كذلك في ذات السياق: **"إن الكلام إنما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة؛ وإنما تجنى من الجمل ودارج القول"** [١٩]، ونحن لا يعنينا البحث عن اللفظة داخل سياقها، وما يهمنا هنا هو دراسة ابن جني للفظة مجردة من سياقها، وإن كان لم يهمل السياق كما ذكرنا سابقا.

لقد أسس ابن جني في مجموع مؤلفاته نظاما صوتيا محكما للفظة المفردة، وكذا الحروف وضبطها، وعلاقتها فيما بينها، ويذهب ابن جني في سر صناعة الإعراب إلى أن **"الحروف كلما تباعدت في التأليف كان أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما"** [٢٠]، فهذه القاعدة التي أقرها ابن جني ما هي إلا استقراء لكلام العرب، ثم استنباط لقاعدة سار عليها العرب في كلامهم، فالعرب دائما تميل إلى السهولة والاقتصاد وتفر من التقعر والتعقيد، وهذه القاعدة التي أقرها ابن جني قد لاقت صدى ممتازا عن **ابن سنان الخفاجي (ت 466)** الذي وضع ثمانية شروط تحدد فصاحة اللفظة المفردة خارج سياقها[٢١] مستندا في ذلك إلى قاعدة ابن جني.

كما نجد صدا أوسع لهذه القاعدة عند **ابن الأثير (ت 437)** في المقالة التي خصصها للصناعة اللفظية، وخص اللفظة المفردة بقسم خاص ناقص فيه فصاحتها خارج سياقها[٢٢].

ب/ علاقة الألفاظ بالمعاني.

تنبه ابن جني في دراسته للغة إلى علاقة الألفاظ بالمعاني وقدم محاولات جادة وطموحه للربط بين اللفظة ومعناها، ونلمس ذلك في بابي **"تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"** و **"إمساس الألفاظ أشباه المعاني"** حاول ابن جني في هذين البابين إثبات فرضيته التي تذهب إلى أن هنالك علاقة حميمة بين اللفظة ودلالتها على المعنى من خلال كم كبير من الأمثلة، وما يعنينا هنا أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال مناقشته لهذه الأمثلة وكذلك المنهج والإجراء المتبع المفضي لهذه النتائج.

إن المنهج الذي قاد ابن جني إلى الكشف عن تصاقب الألفاظ وإمساسها أشباه المعاني هو ذاته المنهج المتبع في دراساته وفتوحاته العلمية، ذلك المنهج الذي يدعو إلى إنعام النظر والتأمل وإعمال الفكر في المسائل المشكلة حتى تفتح وتبدي محاسنها ومفاتنها، هذا المنهج المعتمد من صاحبنا فيه من المكابدة والصعوبة ما فيه، ولكن من يخطب الحسناء لم يغلها المهر كما يقول الحمداني، يقول ابن جني في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: **"فهذا ونحوه أمر إذا أنت أتيته من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله أعطاك مقادته، وأركبك ذروته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته، وقلت: هذا أمر منتشر، ومذهب صعب موعر، حرمت نفسك لذته، وسددت عليها باب الحظوة به"** [٢٣]، فلا بد دون الشهد من إبر النحل كما يقول المتنبي، ويتابع ابن جني: **"فإن أنت رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه، ولا يتابعك على ما أوردناه، فأحد أمرين: إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه. أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا، أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"** [٢٤]، فكلا الأمرين ناتج عن العجز الفكري، الذي لا يعمل العقل ولا يكد الذهن في مسائل اللغة وقضاياها، فهذا المركب الصعب والمذهب الموعر هو الذي أوصل ابن جني إلى الوصول إلى نتائج هامة في هذين البابين، وأبرز هذه النتائج:

١ -كلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت أدل عليه، وأشهد بالغرض فيه [٢٥].

٢ -إن الأصوات/الألفاظ تحاكي معانيها، وتأتي هذه المحاكاة على ثلاثة أشكال[٢٦]:

الشكل الأول/ محاكاة الألفاظ لترتيب الأحداث والوقائع، كما في مثال استفعل. [٢٧]

الشكل الثاني: محاكاة قوة الألفاظ لقوة المعاني، كما في مثال خضم وقضم[٢٨].

الشكل الثالث: محاكاة الأسماء لمسمياتها، ومثال ذلك: بسملت، هيللت، حوقلت[٢٩].

وفي ختام حديثنا عن نقد ابن جني للألفاظ ربما يسأل سائل ما علاقة ذا و التفكير البلاغي عند ابن جني، والإجابة هي أن ابن جني دائما ما يربط الألفاظ بالدلالة، بمعنى أنه يدرس اللفظة مجردة من سياقها ويوضح الفوارق الدلالية التي بينها وبين أختها في حقلها الدلالي، ثم بعد ذلك في خطوة ثانية يقدمها إلى مختبر السياق ليدلل على صحة فرضيته، كما في مثال خضم، وقضم السابق، واستدل على صحة ما ذهب إليه بقول أبي الدرداء: **"يخضمون ونقضم والموعد الله"** [٣٠].

إن ألفاظ العربية تحتفظ في باطنها بدلالات جمالية يفضحها السياق ويكشف عنها، فـ**" ليس من شك في أن ابن جني يحمّل الصوت اللغوي طاقة تشكيل المعنى البلاغي، غير أن ذلك لم يتم إلا بوجود طاقة**

دلالية كامنة فيه، وكأن القيمة التعبيرية التي تختزنها مجموعة من أصوات اللغة العربية وصيغتها الصرفية، إنما يمثل أحد أبعادها جماليتها، حيث يضطلع السياق بأدوار مهمة في تشكيل بلاغتها في النهاية".[٣١]

ثانيا/ قضية اللفظ والمعنى.

شغلت قضية اللفظ والمعنى العلماء، وملأت الدنيا، وغصت بها بطون الكتب وصدور المؤلفات في شتى ميادين البيان العربي من تفسير ونحو وعلم أصول وبلاغة، ويأبى صاحبنا ابن جني إلا أن ينحت بصمته الخالدة على أسوار هذه القضية، ويضرب بسهم حاز على أوفر الحظ والنصيب من الإعجاب والتقدير، إنه ابن جني الذي أينما قلبت بصرك في معارج العلم والمعرفة البيانية تجد له بصمته الخاصة، وميسمه الذي لا يشابهه ميسم، فعلمه لا تزيده الأيام إلا جدة، وكلما أعملت فيه النظر وأجريت فيه خيول التأمل وجدت فيه فرائد لا تنفد، ونفائس لا تعد.

أفرد ابن جني في كتاب الخصائص بابا خاصا لهذه القضية، هو " **باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني"** ودلالات العنوان تحمل بعدا حجاجيا، فالرد يقتضي فريقا آخر يحمل رأيا مخالفا، والادعاء يقتضي تسجيل اعتراض على هذا الادعاء بمنطق أهل المنطق، وعليه فإن ابن جني سيحاول إيجاد حل وسط لقضية اللفظ والمعنى، ورده على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإهمالها المعاني لم يأت منفعلا، بل جاء عقلانيا، أعمل فيه منهجه الفريد، وبناء على هذا المنهج، فإن ابن جني قد صهر اللفظ والمعنى في قالب واحد، وأماط عنهما صيغة التنافر والتصارع، ونظر إليهما نظرة تكامل وتعالق وتضام، يقول ابن جني في هذا الشأن: " **إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، والخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها، فإنها لما كانت عنوان معانيها وطريق إلى إظهار أغراضها ومراميها ... أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة على القصد، ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه، فإذا حفظه كان جديرا باستعماله ... وكذلك الشعر، النفس له أحفظ وإليه أسرع"**[٣٢].

فموقف ابن جني من قضية اللفظ والمعنى يتضح من هذا المقبوس الذي سقناه على طوله، ولم يكتف ابن جني بالجانب التنظيري، بل دعمه بالجانب التطبيقي **"حين رفض ابن جني ما زعمه ابن قتيبة ومن وصف مقطوعة شعرية من ثلاثة أبيات – ولما قضينا من منى ...- بأنها مما حسن لفظه وحلا دون أن يشتمل على كبير فائدة في المعنى. لقد رفض ابن جني رأي ابن قتيبة ومعه آراء أربعة آخرين من النقاد تابعوه على رأيه هم: ابن طباطبا، وقدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري، والقاضي الباقلاني، وأكد أن المعنى في هذه الأبيات لا يقل قيمة عن جمال اللفظ فيها"** [٣٣]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد تأثر بما قاله ابن جني في قضية اللفظ والمعنى، وتابعه في ذلك وطور نظرته وأضاف عليها، وأقر رأيه في الأبيات الثلاثة المشهورة[٣٤].

ثالثا/ المجاز والحقيقة.

كعادته، حاضرا في سبل العربية الوعرة ومدارجها الصعبة المرتكزة على إعمال الفكر وإنعامه، قضية مشكلة في تاريخ النقد العربي، أو قل في البيان العربي بكليته، رفض أن تمر عليه مرور الكرام دون أن يدون رأيه فيها، إنه ابن جني وقضية المجاز والحقيقة.

عقد صاحبنا ابن جني لهذه القضية بابين في كتاب الخصائص هما: **"باب في الفرق بين الحقيقة والمجاز"** و **"باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة"**

تناول ابن جني في الباب الأول مفهوم الحقيقة وهو **"ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك"** [٣٥]، وعزى أسباب العدول من الحقيقة إلى المجاز إلى الاتساع، والتوكيد، والتشبيه[٣٦]، فإن لم تكن أسباب العدول غير ما ذكر فإنها الحقيقة البتة.

وبتأمل هذا الكلام الذي ساقه ابن جني وما بعده نلحظ أن رؤيته للحقيقة والمجاز رؤية شمولية أدخل فيها كل أنواع المجاز العقلي واللغوي، كما أدخل فيها التشبيه منزوع الأداة، وما يؤكد ذلك استقراء الأمثلة التي ضربها، وهذا طبيعي لأن أنواع المجاز لم يقسم بعدُ ولم تصل إلى صورتها النهائية، لكن ما يحمد له محاولته الجريئة في الحديث عن هذه القضية والتفصيل فيها في طفولتها الأولى.

أما الباب الثاني فقد حمل فلسفة عجيبة، وهي أن ابن جني يرى أن أكثر كلام العرب محمول على المجاز، وكثرة علك الناس لهذا المجازات أحالها إلى حقيقة، فتلك التراكيب التي يخيل إليك أنها ذات دلالة حقيقة هي في أصلها ذات دلالة مجازية، لكن الاستعمال والتداول جعلها حقيقة، يقول ابن جني في صدر هذا الباب: **"اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال نحو: قام زيد، وانطلق عمرو، وانطلق بشر، وجاء الصيف، وانهزم الشتاء، إلا ترى أن الفعل يراد منه معنى الجنسية، فقولك: قام زيد معناه: كان منه القيام أي هذا جنس الفعل، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس، والجنس يطّبق جميع الماضي، وجميع الحاضر، وجميع الآتي الكائنات من كل من وجد منه القيام ... فإذا كان كذلك علمت أن قام زيد مجاز لا حقيقة"** [٣٧]، ويتفق أحد الباحثين مع ابن في عده "جاء الصيف، وانهزم الشتاء" من المجاز **"وتحولهما إلى عبارتين مجردتين من قدراتهما الاستعارية"** [٣٨]، إلا أنه يذهب إلى أن ابن جني أوغل حينما عد الأفعال كلها من المجاز.

وفي ختام هذا المطلب يمكن القول أن غرضنا من إيراد هذه المسائل والقضايا إيراد نماذج على معالجة ابن جني لمسائل البلاغة، وتسليط الضوء عليها ولفت الانتباه لها، وليس غرضنا الإحاطة بها لأنه مطلب عزيز تفنى دونه الآجال، وربما يسأل سائل، ما بالك اخترت هذه القضايا بالذات، والرد: هو أن هذه القضايا لم تشغل عقل ابن جني البلاغي وحده، بل هي مشاغل حضرت في علوم البيان عموما وعلوم البلاغة خصوصا، كما كان همي طرق القضايا البالغة الصلة بالدرس البلاغي، وحرصت أن تكون شاملة مستويات الكلام، بدءا باللفظة المفردة، ثم العلاقة بين اللفظ والمعنى، وأخيرا المجاز، أو الصورة الفنية بمفهومها الشمولي، لنصل في النهاية إلى تصور متكامل عن أبعاد تفكير ابن جني البلاغي، وعقله الإبداعي الذي قاده إلى الربط بين علوم البيان، وإزالة الحواجز المفتعلة بينها، ليصل إلى نظرة شاملة تهدف إلى إذابة العلوم البيانية في قالب واحد، أو ما يسمى بوحدة العلوم.

المبحث الثاني: شجاعة العربية، رؤية بلاغية.

المطلب الأول: مفهوم شجاعة العربية.

المطلب الثاني: مقاييس تسويغ شجاعة العربية، والمبادئ التي نهضت بمفهوم الشجاعة.

المطلب الأول: مفهوم شجاعة العربية.

حركة المفهوم.

المعلم الأول/ جذور المفهوم.

يرجع بنا الزمان إلى الوراء وتحديدا عن **أبي عثمان الجاحظ (ت 255)** ليتوقف بنا عند محاولة حثيثة وجادة في ضبط مدارج كلام العرب، وسبر معارج لسنهم وفصاحتهم، فنجد أن الجاحظ قد أومأ إلى هذا المفهوم[٣٩] في كتاب الحيوان، في باب "مجاز الذوق" ونلحظ إلحاحه الشديد على إظهار سعة العربية من خلال مفهوم التجوز الذي يعطي للعربي الحرية في خوض مفازات اللغة الفسيحة والواسعة، يقول الجاحظ: **"وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم ... وكما جوزا لقولهم أكل وإنما عضّ، وأكل وإنما أفنى، وأكل وإنما أحاله، وأكل وإنما أبطل عينه، جوزوا أيضا أن يقولوا: ذقت ما ليس بطعم، ثم قالوا طعمت، لغير الطعام"** [٤٠]فالتجوز والتوسع هو سمت العربية، والإقدام والشجاعة سمت العرب في استعمال لغتهم، وهذا التجوز والتوسع لا يقوى عليه إلا الفصحاء، ولا يفهمه إلا من أمسك بزمام اللغة وأحكم ضبطها.

طرق **ابن قتيبة (ت 276)** في كتاب التأويل **"باب ذكر العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز"** وعرّج على مجموعة من أجناس العربية، لكن المفهوم لم يحضر عنده بنفس المسمى، وإنما جعل الشجاعة بمعنى المجازات، يقول: **"وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه. ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار ..."** [٤١]، ويتضح من هذا الكلام أن مفهوم مجازات الكلام عند ابن مفهوم واسع، يتناول كل أنماط التعبير التركيبية والبيانية.

المعلم الثاني/ المفهوم عند ابن جني.

إن بعض الأجناس التعبيرية التي ذكرها ابن قتيبة في حديثه السالف سنجدها حاضرة في باب شجاعة العربية عند ابن جني، لكن كيف استطاع ابن جني أن يجترح مفهوم شجاعة العربية؟؟

ذهب **الدكتور عبد الحكيم راضي** في مقدمة كتاب الخصائص مذهبا بعيدا حين استنبط الطريقة التي اجتراح بها ابن جني هذا المفهوم[٤٢]، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الشجاعة المأخوذ من الفارس الشجاع في بيتي الأعشى عبر ملاحظات الخليفة المرواني وتعليقات قدامة، والباحث لا يوافق الدكتور راضي في هذا الاستنباط البعيد الذي ذهب إليه، لكن الذي يذهب إليه الباحث هو أن طريقة اجتراح مفهوم الشجاعة جاء من خلال أفكار الجاحظ في المجاز التي عرضنا لها، ثم الموازنة بين هذه الأفكار وتلك التي ذكرها ابن قتيبة في مجازات الكلام وأجناسها، وبالموازنة والمزواجة بين فكري الرجلين خرج ابن جني بهذا المفهوم الوليد، بدليل التشابه الكبير بين حديث ابن قتيبة عن مجازات الكلام، وتقدمة ابن جني لباب شجاعة

العربية، يقول ابن جني: **"اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف"**[٤٣].

المعلم الثالث/المفهوم بعد ابن جني.

بعد أن وضع ابن جني مفهوم شجاعة العربية وحدد أجناسها تلقفه العلماء بالقبول والإكبار، فهذا **الشريف الرضي (ت 406)** تلميذ ابن جني ينقل في كتاب **المجازات النبوية** مفهوم شجاعة الفصاحة، فيقول: **"وكان شيخنا أبو الفتح النحوي يسمى هذا الجنس شجاعة الفصاحة لأن الفصيح لا يكاد يستعمله إلا وفصاحته جرية الجنان، غزيرة المواد"** [٤٤]، فشجاعة الفصاحة هي ذاتها شجاعة العربية، التي يتحدث عنها ابن جني في الخصائص والفسر والمحتسب.

وإذا تدرجنا في مسالك التاريخ خطوات إلى الأمام فإننا سنجد أن مفهوم شجاعة العربية قد أصبح مبحثا أو جزء مبحث في مؤلفات علماء البيان، فنلفي صاحب المثل السائر **ضياء الدين بن الأثير (ت 637)** قد تحدث عن مفهوم شجاعة العربية حين درس قضية الالتفات، وذكر أن الالتفات يسمى **"شجاعة العربية وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، و ذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هو الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات"** [٤٥]، فابن الأثير إذن جعل الالتفات هو شجاعة العربية، وهذا اختزال لمفهوم الشجاعة، وذاك أن مفهوم الشجاعة مفهوم واسع وما الالتفات إلا جنس من أجناس شجاعة العربية.

أما صاحب **جوهر الكنز (ت 737)** فقد أفرد بابا كاملا لشجاعة العربية في مؤلفه، نسب الفضل لأهله، حيث **أن "أول من سماه من علماء بهذه التسمية أبو الفتح بن جني"** [٤٦]. ولم يحصر ابن الأثير الحلبي مفهوم الشجاعة في جنس واحد كما فعل سلفه ابن الأثير، وإنما جعل الالتفات جنس من أجناسها فشجاعة العربية عنده **"عبارة عن أنواع شتى من البديع والمقصود به إظهار ما دار بين العرب في لغاتها الفصيحة عند النطق بها من تقديم معنى وتأخيره، وتثنيه جمع ..."** [٤٧]والغرض من هذا الباب **"الاطلاع على إعجاز القرآن العزيز وإظهار دقائقه وخفايا أسراره، وإيضاح بلاغته"**[٤٨].

ونحط رحالنا أخيرا عند صاحب **الطراز يحيى بن حمزة العلوي(ت 749)**، فقد صنع هو الآخر كما صنع صاحب المثل السائر؛ إذ ورد مفهوم الشجاعة عنده في معرض حديثه عن مسألة الالتفات، فالالتفات عنده **"قد يلقب بشجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك، هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعا فإنه يرد الموارد الصعبة، ويقتحم الورط العظيمة حيث لا يردها غيره، ولا يقتحمها سواه، ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة دون غيرها، ومعناه في مصطلح علماء البلاغة، هو العدول في الكلام من أسلوب إلى آخر مخالفا للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب ..."**[٤٩].

تابع العلوي ابن الأثير في كلامه وكاد يأتي بعبارته بتمامها؛ إلا أنه استدرك على كلامه في النهاية ورأى أن مفهوم شجاعة العربية لا يمكن اختزاله في الالتفات، فالالتفات ما هو إلا جنس من أجناسها، وعمم مفهوم الشجاعة ليقترب من فهم ابن جني له، فشجاعة العربية هي العدول من أسلوب إلى آخر بغرض إحداث لذة جمالية والارتفاع من اللغة الطبيعية إلى اللغة الإبداعية.

وبعد هذا الرصد والتتبع لمفهوم شجاعة العربية، من الجذور إلى الاستواء نجمل الكلام، فنقول أن مفهوم الشجاعة فكرة الشجاعة بدأت في كتاب الحيوان ثم ترعرعت عند ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، وجمع ابن جني تلك الأفكار والملاحظات واستوت على يديه ونضجت، ولم يضف اللاحقون لابن جني

عليها شيئا مذكورا، وبصنيع ابن جني أصبح مفهوم شجاعة العربية فكرة تامة كاملة اخترقت علوم البيان وحضرت فيه بشكل ملفت، وشكلت شجاعة العربية بكافة أجناسها أداة هامة وفاعلة في دراسة طاقات اللغة الإبداعية، التي تقوم على **"توليد الإمكانات التعبيرية، وخلق استعمالات تتجاوز بمرونتها واتساعها كل القوالب الثابتة للنظام اللغوي المجرد"**[٥٠].

المطلب الثاني

مقاييس تسويغ شجاعة العربية، والمبادئ التي نهضت بمفهوم الشجاعة

المعلم الأول/ المبادئ التي يرتكز عليها مفهوم الشجاعة.

أولا/ العدول أو الانحراف.

تقوم شجاعة العربية على مبدأ العدول عن أصل الوضع، والانحراف عن المعيار النحوي القياسي المتعارف عليه عند علماء اللغة والنحو، فأجناس الشجاعة المتمثلة في الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف كلها أجناس لا تتفق مع السنن التي قعدها النحاة، ولذلك نجد أنفسنا أمام مستويين من اللغة، مثالي، ومنحرف **"والمثالي هنا هو المستوى العادي، أما المنحرف فهو المستوى الفني"**[٥١]، فالعدول إذن مرتبط بالمستوى الفني الذي يرتفع فيه الكلام عن المستوى الطبيعي للغة، ولا شك أن العربية بشجاعتها هي من تزود البليغ بهذه الإمكانات التي تجعله يتحرك في حدودها خارج الإطار المألوف الذي يتحرك فيه القول الطبيعي، وبتصفح دراسة ابن جني للعدول فإننا نعثر على أنماط للعدول يمكن أن نصنفها على النحو الآتي:

أ/ العدول على مستوى اللفظة.

تحدث ابن جني عن العدول على مستوى اللفظة المفردة بمفهومها الشامل -لفظة، أو صيغة- وربط بين هذا العدول بالمقصد البلاغي الذي يرومه المتكلم، ومثال ذلك: **"قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشي فيه قالوا: اعشوشب، ومثله حلا واحلولى، وخَلُق واخلولق، وغذن واغدودن. ومثله باب فَعَل وافتعل، نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم: قدر. كذلك قال أبو العباس وهو محض قياس، قال الله سبحانه: "أخذ عزيز مقتدر" فمقتدر هنا أوفق من قادر، من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ"**[٥٢].

فكل هذه الصيغ المعدولة؛ إنما انحرفت عن أصلها لمقاصد بلاغية يقصدها المتكلم، إما لتكثير المعنى، أو لتفخيم الأمر أو لزيادة العناية به، ومن أظهر أنماط العدول على مستوى الصيغة باب الالتفات، والذي يبعث على التساؤل حقيقة في هذا الباب هو **لماذا لم يذكر ابن جني هذا الجنس في باب شجاعة العربية في كتاب الخصائص حينما عدد أجناسها من حذف وتقديم وتأخير ... ؟ ولماذا اختزل ابن الأثير والعلوي مفهوم الشجاعة في باب الالتفات؟**

تساؤلات تتبادر إلى ذهن الباحث تبعث على الحيرة، لم يتطرق ابن جني إلى باب الالتفات حين ناقش أجناس العربية في كتاب الخصائص، وذكر ذلك في كتاب المحتسب [٥٣] في توجيه الآية الكريمة **"واتقوا يوما يُرجعون فيه إلى الله"**[٥٤] **البقرة: 281، في قراءة الحسن.**

ونجتهد في الإجابة عن هذه التساؤلات ونقول: إن تصورنا عن ابن جني -كما ذكرنا في المقدمة- لا يمكن أن تكتمل صورته وتتضح معالمه ومنهجيته في الدرس؛ إلا إذا نظرنا إلى مؤلفاته على أنها كلٌّ متصل ولحمة متماسكة -ونخص بالذكر الخصائص، والمحتسب، والفسر لقربها إلى موضوع ورقتنا- فلا يمكن أن نقبض على تفكير ابن جني البلاغي بالاعتماد على مؤلف واحد، وإغفال بقية المؤلفات، أما اختزال ابن الأثير والعلوي لمفهوم الشجاعة في باب الالتفات فربما يعود سببه إلى أن هذا الباب هو أظهر أبواب الشجاعة وأدلها عندهما على العدول، ولذلك قصرا مفهوم الشجاعة عليه بحسب ما يراه الباحث.

ب/ العدول على مستوى التركيب.

يتركز مفهوم الشجاعة في جزء كبير منه على البناء التركيبي للغة الإبداعية التي تتسم بالعدول والانحراف عن نمط اللغة الطبيعية، يقول ابن جني في صدر باب شجاعة العربية: **"اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف"** [٥٥]، فالحذف والزيادة والتقديم والتأخير، كلها مشاغل تندرج تحت باب علم المعاني الذي يهتم بالتراكيب من جهة نظر البلاغة، يقول ابن جني في فصل الحذف: **"قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه"** [٥٦]، بمعنى أن الحذف لا يأتي عبثا؛ ولم تلجأ إليه فصاحة العرب إلا لأغراض بلاغية ومقاصد جمالية، فالعربية جبلت على الإيجاز والاقتصاد، وجبل العربي على الفطنة والمهارة اللغوية، التي تمكنه من الغوص في مفهوم القول وفحواه لا الاكتفاء بظاهر منطوقه، والحذف من الوسائل التي تدل على اتساع أفق العربية، وتوفيرها إمكانات تعبيرية ذات مقاصد بلاغية، وقد ضرب ابن جني أمثلة على فصل الحذف بأنواعه المختلفة من القرآن الكريم، وشعر العرب وكلامها، وفي هذا دلالة واضحة على استشعار ابن جني لقيمة الحذف الجمالية، التي لا تُطلب في اللغة الطبيعة، ومكانها الطبيعي هو اللغة التي تنحرف عن المعيار الطبيعي للغة.

بعد أن فرغ ابن جني من فصل الحذف، دلف إلى فصل التقديم والتأخير، وهذا الفصل كسابقه ينحصر اشتغاله في البناء التركيبي للخطاب، والتقديم والتأخير وإن كان يمثل اتساعا في اللغة، وقدرة كبيرة على التصرف في الكلام والتلطف في القول إلا أنه يتحرك وفق ضوابط وقوانين محددة إذا تجاوزها المبدع خرج إلى الخطأ والزلل، ومن هذه الضوابط عند ابن جني **"لا يجوز تقديم الصلة ولا شيء منها على الموصول، ولا الصفة على الموصوف، والبدل على المبدل منه ..."** [٥٧]، فهذه المحاذير التي وضعتها اللغة لا يجوز للبليغ الإخلال بها، لأن في ذلك إخلال بنظام اللغة وبنيتها، أما إطار التقديم والتأخير الذي يتحرك فيه البليغ فهو ذلك الإطار الذي لا يخل بنظام اللغة وبنيتها، كـ **"تقديم المفعول على الفاعل تارة، وعلى الفعل الناصبة أخرى، كضرب زيدا عمرو، وزيدا ضرب عمرو، وكذلك الظرف، نحو: قام عندك زيد، وعندك قام زيد..."** [٥٨]، فهذا الإمكانات التعبيرية التي تقدمها اللغة للبليغ تتيح له العدول عن المستوى الطبيعي للكلام إلى المستوى الفني، الذي ينحرف عن المعيار والقاعدة الموضوعة في أصل وضع اللغة، لكنه مع ذلك يبقى محترما لنظام اللغة وسننها، فليس كل عدول عن الأصل تقبله اللغة، لإن هنالك أنماطا من العدول تخرج المتكلم إلى الخطأ، وبذلك يضبط ابن جني حركة المبدع، ويرسم حدود المنطقة التي يتحرك فيها، وفي المقابل يحدد له المنطقة المحظورة التي لا يجوز له المس بنظامها وبنيتها.

ثانيا/الإضمار أو التقدير الإعرابي.

لقد لاحظ ابن جني الصراع القائم بين شجاعة اللغة الفنية وقواعد اللغة، فاللغة الفنية بسماتها الجمالية والإيقاعية تجور على القاعدة من أجل بلاغة المعنى وجماله، وهي بذلك تتمرد على المعيار

النحوي ولا تلقي له بالا، ولهذا يقترح ابن حني حلا لهذا الصراع القائم بين المعنى والقاعدة في باب **تجاذب المعاني والإعراب** فيقول: **"وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"**[٥٩]، بمعنى أن حل هذا الإشكال يتمثل في الإضمار، أو التقدير الإعرابي الذي يمسّك بالمعنى ويصحح الإعراب، ومثّل على ذلك بقوله تعالي: **"إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر" الطارق: 8,9**. **"فمعنى هذا: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ، لفصلك بين الظرف الذي هو (يوم تبلى) وبين ما هو معلق به من المصدر الذي هو (الرجع) والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز، فإذا كان المعنى مقتضيا له، والإعراب مانعا منه، احتلت له، بأن تضمر ناصبا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل، حتى كأنه قال فيما بعد: يرجعه يوم تبلى السرائر. ودل (رجعه) على (يرجعه) دلالة المصدر على فعله"**[٦٠]

وهذا الفهم المتقدم لابن جني في حل مشكلة تجاذب المعاني والإعراب يدل على وعيه بخصوصية اللغة الرفيعة، التي تقوم على مخالفة القياس لإنتاج المعاني والبنى التركيبية التي تختزن في أعماقها سمات الجمال والبلاغة.

وفي المحصلة النهائية لهذا المطلب يمكن القول أن مبدئي العدول، والإضمار الإعرابي قد شكلا الأساس الذي توكأت عليه شجاعة العربية، وكلا المبدأين يصبان في ميدان الدرس البلاغي، الذي يعنى بدراسة اللغة الفنية التي تخرج عن القياس والمعيار إلى مقاصد وأغراض جمالية لا تتوفر في الكلام الطبيعي.

المعلم الثاني/مقاييس تسويغ شجاعة العربية.

لشجاعة العربية أدوات ومقاييس تسوغ للمبدع الجسور ركوبها، والخوض في أجناسها لصناعة خطابه الإبداعي، ومقاييس تسويغ الشجاعة هي:

أ/الكفاءة اللغوية للمبدع.

إن شجاعة العربية مرهونة بقدرة المبدع وحريته، وهذه القدرة والحرية لا تتأتى إلا من خلال معرفته بنظام اللغة وبنيتها وقواعدها وسننها، فالجاهل بهذه القواعد والسنن لا يمكن أن يوسم كلامه بالشجاعة لأنه لا يعرف القاعدة، وبالتالي فإن خروجه عن القاعدة يعد من قبيل الخطأ واللحن.

كان ابن جني على وعي كامل بأن اقتدار المبدع ومعرفته بنظام العربية هو السبيل الموصل إلى الشجاعة، ولذلك نجده يعلل لأبي الطيب المتنبي تعسفه في بعض ألفاظه وصياغاته، فيقول: **"وإن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب من ارتكاب شاذ أو حمل على نادر فعن غير جهل كان منه، ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له، ومن هنا شبث قوم لا درية لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه، إذ لم تكن خبرة بدخلة أمره"** [٦١]، فالمتنبي في نظر ابن جني لم يكن جاهلا بوجوه اللغة، بل كان يعرف وجوهها ومداخلها ومعارجها، ومعرفته الدقيقة بهذه اللغة هي من جعلته يسلك وجوه التعسف والشاذ والنادر؛ ما جعل الجهلاء باللغة يغمزونه بقصور فهمه لقواعد اللغة، وأشار ابن جني في كلام السالف عن المتنبي إلى مبدأ بلاغي مهم، هو مبدأ **الاختيار** الذي يمثل أساسا مهما للمفاضلة بين المبدعين، لأنه يكشف عن قدرة المبدع على انتقاء عناصر اللغة ومكوناتها الأسلوبية المختلفة سواء كانت

مفردة أم مركبة، جاهزة أم مؤلفة، وهذه القدرة لا شك تختلف من مبدع إلى آخر، وهي التي تميز مبدعا عن آخر.

ب/الضرورة الشعرية.

يعد هذا المقياس التسويغي للشجاعة امتدادا لسابقه ومكمل له، فابن جني يؤسس نظرته للضرورة الشعرية[٦٢] على مقولة الخليل: **"الشعراء أمراء الكلام، يتصرفون فيه كيف شاؤوا، يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، من اطلاق المعنى وتقييده، وتسهيل اللفظ وتعقيده"**[٦٣].

ومذهب ابن جني في الضرورة الشعرية يتمثل في قوله: **"فمتى ما رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورة على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه، وإن دل من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه، وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصور عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته، بل مثله في ذلك عندي مجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام، فهو وإن كان ملوما في عنفه وتهالكه، فإنه مشهود له بشجاعته وفيض متنه: ألا تراه لا يجهل أن لو تكفر في سلاحه، أو أعصم لجام جواده لكان أقرب إلى النجاة، أبعد من الملحاة: لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله، وإدلال بقوة طبعه، ودلالة على شهامة نفسه"**[٦٤].

فالضرورة الشعرية في نظر ابن جني إذن ليست أمارة ضعف، بل على العكس، هي علامة قوة وجسارة وشجاعة لا يجرؤ عليها إلا المبدع الشجاع الذي يخرق القاعدة والأصل ثقة منه بكفاءته اللغوية واقتداره على ركوب الأنماط والصعبة والمخيفة التي تتأبى على الذي لم يعب من نمير العربية المعين وفراتها العذب الزلال.

ج/الحمل على المعنى.

انطلق ابن جني في مقاربته للخطاب الإبداعي من الزاوية التي ترى أن اللغة مبسوطة إلى غير غاية ممتدة إلى غير نهاية، ولذلك رد كثيرا من التراكيب والصيغ بل والقراءات التي وصفت بالشذوذ والخروج عن سمت نظام العرب في الكلام إلى نظام اللغة متكئا على منهجه التأويلي الفريد الذي يؤمن بأن اللغة قادرة على استيعاب كل تلك التراكيب الشاذة والنادرة التي حُكم عليها بالخطأ ومجافاة الطريق اللغوي السوي، ومن أبرز أدوات ابن جني في رد تلك التراكيب إلى دائرة النظام اللغوي **"الحمل على المعنى"** فهذه الأداة التأويلية حولت تلك التراكيب من شاذة موسومة بالخطأ إلى تراكيب تتسم بالشجاعة والجرأة على القاعدة وأصل الوضع، يقول ابن جني في فصل الحمل على المعنى أنه **"قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما، كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد في الجماعة..."**[٦٥]، ومثل على كل تلك الصور، فمن تذكير المؤنث مثلا **"قوله تعالى: "فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي" أي هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه، وكذلك قوله تعالى: "فمن جاءه موعظة من ربه" لأن الموعظة والوعظ واحد..."**[٦٦].

وخلاصة هذا المطلب هو أن لشجاعة العربية جملة من المبادئ والمسوغات تتيح للمبدع التمرد على قواعد النظام اللغوي وتجيز له الخروج من قبضته إلى فضاءات اللغة الفنية الإبداعية، وهذه المبادئ هي العدول، والإضمار، أما مقاييس تسويغ الشجاعة فهي الكفاءة اللغوية للمبدع، والضرورة، والحمل

على المعنى، ويختص المقياس الأول بالمبدع واقتداره اللغوي، فيما يختص الثاني والثالث بخصائص اللغة وامكاناتها التعبيرية الواسعة والمرنة.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة البحثية الموجزة في تفكير ابن جني البلاغي، يصل بنا الحديث إلى نهاية المطاف، يصل بنا إلى أبرز نتائج البحث، وأهمها:

١ ـ أصبغ ابن جني صفة الحكمة على اللغة العربية الشريفة، وكان منهجه في استخلاص دلائل حمة العربية المنهج التأويلي، الذي يقوم على إنعام النظر والتأمل المفضي إلى استكناه أسرار بلاغة العربية ودلائل إعجازها وحكمتها.

٢ ـ قام التصور البلاغي عند ابن جني على أساسين هما، الأول: إيمانه بوحدة المعارف البيانية، والثاني: الرؤية التي ترى في اللغة اتساعا، وهذا الاتساع هو سر جمالها.

٣ ـ رفد ابن جني البحث البلاغي بآراء مهمة شكلت حضورا ملفتا في علوم البلاغة الثلاثة، ومن أبرز تلك القضايا التي أثارها: مناقشته ونقده للألفاظ، ودراسته الدقيقة لقضية اللفظ والمعنى، ورؤيته الخاصة لقضية المجاز والحقيقة.

٤ ـ استوعب ابن جني آراء الجاحظ وابن قتيبة وجمع بينها وصاغها في مفهوم شجاعة العربية، وأصبح بعد ذلك مفهوما قائما بذاته حضر في العديد من مؤلفات لاحقيه، لكنها لم تضف له شيئا.

٥ ـ ارتكز مفهوم شجاعة العربية على مبدئين هما، الأول: العدول بمستوياته المختلفة، والثاني: الإضمار الإعرابي.

٦ ـ قام مفهوم شجاعة العربية على مسوغات تتيح للمبدع ارتكاب مفهوم الشجاعة، وهذه المسوغات هي: الكفاءة اللغوية للمبدع، والضرورة الشعرية، والحمل على المعنى.

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2010، الجزء:1، ص70.
[2]- ثلاث رسائل في الإعجاز، الرماني، والخطابي، الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1976، ص106.
[3]-الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت، الجزء:3، ص95.
[4]- الخصائص، الجزء:1، ص1.
[5]- الخصائص، الجزء:1، ص242.
[6]- الخصائص، الجزء:1، ص242.
[7]- البلاغة والأصول، محمد مشبال، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2007، ص51.
[8]- الخصائص، الجزء:1، ص53، 54.
[9]- نفسه، ص 76.
[10]- الفسر، ابن جني، تحقيق: رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط1، 2004، ج:1 ، ص3، 4، 5.
[11]- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج:4، ص204.
[12]- ينظر: الفسر، ج:1، ص7.
[13]- تاريخ النقد عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1983، ص 280.
[14]- البلاغة والأصول، ص63.
[15]- الخصائص، الجزء:1، ص256.
[16]- المحتسب، ابن جني، تحقيق: على النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1969، الجزء:2، ص86.
[17]- مقدمة كتاب الخصائص، عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ط، 2006، الجزء:1، ص6.
[18]- الخصائص، الجزء:1، ص27.
[19]- الخصائص، الجزء:2، 331.
[20]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ص65.
[21]- ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، ص64.
[22]- ينظر: المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، القسم الأول، ص163 وما بعدها.
[23]- الخصائص، الجزء:2، ص162.
[24]- الخصائص، الجزء:2، ص164.
[25]- الخصائص، الجزء:2، ص154.
[26]- ينظر: دلالة الصوت والصيغة الصرفية في خصائص ابن جني، توانا قادر الخلكاني،دار الرنيم، الكويت، د.ط ،د.ت، ص 208 وما بعدها بتصرف.
[27]- الخصائص، الجزء:2، ص158.
[28]- الخصائص، الجزء:2، ص157، 158.،
[29]- الخصائص، الجزء:2، ص165.
[30]- الخصائص، الجزء:2، ص157.
[31]- البلاغة والأصول، ص84.
[32]- الخصائص، الجزء:1، ص215، 216.
[33]- مقدمة كتاب الخصائص، عبد الحكيم راضي، الجزء:2، ص4.
[34]- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د،ط، د،ت،ص21 وما بعدها.

[٣٥]- الخصائص، الجزء:2، ص442.
[٣٦]- نفسه، ص442.
[٣٧]- الخصائص، الجزء: 2، ص 448.
[٣٨]- علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996، ص434.
[٣٩]- تحدث أبو منصور الثعالبي في كتاب فقه اللغة وسر العربية في فصل المجاز عن مفهوم الإقدام ولم يخرج عما قاله الجاحظ، وجاء مفتتح هذا الباب بمقولة الجاحظ في إقدام العرب على الكلام ولم يزد على كلام الجاحظ شيء. المصدر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2000، ص 405.
[٤٠]- الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلان هارون، مكتبة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، ط1، د.ت، الجزء:5، ص32.
[٤١]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007، ص22.
[٤٢]- مقدمة كتاب الخصائص، عبد الحكيم راضي، الجزء: 2، ص 19.
[٤٣]- الخصائص، الجزء:2، 360.
[٤٤]- المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، قم إيران، 1422هـ، ص 46.
[٤٥]- المثر السائر، الجزء:2، ص168.
[٤٦]- جوهر الكنز، ابن الأثير الحلبي، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ط، 1983 ص118.
[٤٧]- جوهر الكنز، ص118.
[٤٨]- جوهر الكنز، ص118.
[٤٩]- الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، د.ط، 1914، ص 131، 132.
[٥٠]- البلاغة والأصول، ص113.
[٥١]- نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهر، ط1، 2003، ص193.
[٥٢]- الخصائص، الجزء:3، ص265.
[٥٣]- المحتسب، الجزء1، 145.
[٥٤]- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1993، الجزء:2، ص356.
[٥٥]- الخصائص، الجزء:2، ص360.
[٥٦]- الخصائص، الجزء:2، ص360.
[٥٧]- الخصائص، الجزء: 2، ص385.
[٥٨]- الخصائص، الجزء:2، ص 283.
[٥٩]- الخصائص، الجزء:3، 255.
[٦٠]- الخصائص ، الجزء:3، ص 255، 256.
[٦١]- الفسر، الجزء: 1، ص3، 4.
[٦٢]- اختلف العلماء والنقاد في نظرتهم إلى قضية الضرورة الشعرية، فمنهم من رأى أنها ضعف في الشاعر، وفريق آخر أجازها ومنع القياس عليها، وقسم ثالث توسع، فأجازها وأجاز القياس عليها، للاستزادة ينظر: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية، بغداد، د.ط، 1984، ص 153 وما بعدها.

[٦٣]- المستطرف في كل فن مسنظرف، شهاب الدين الأبشيهي، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986، الجزء:1، ص138.
[٦٤]- الخصائص، الجزء:2، 392.
[٦٥]- الخصائص، الجزء:2، ص 411.
[٦٦]- الخصائص، الجزء: 2، ص412.